الأقوال التفسيرية التي حكم عليها ابن كثير –رحمه الله– بالحسن

ودرجاته

دراسة تطبيقية

الأستاذ المشارك الدكتور/ توفيق علي زبادي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

أكاديمية الإمام مالك– إسطنبول

المستخلص

يهدفُ هذا البحثُ إلى بيانِ فكرةٍ جديدةٍ لمْ يتناولْها أحدٌ -فيما أعلمُ- بدراسةٍ مستقلةٍ وهيَ (**الأقوال التفسيرية التي حكم عليها ابن كثير -رحمه الله- بالحسن ودرجاته**)، وقدْ قمْتُ بدراسةٍ تطبيقيةٍ على الآيات التي حسَّنَ ابنُ كثيرٍ الأقوالَ التفسيريةَ التي وردَت فيها، وكانَ الغرضُ منَ البحثِ بيانَ أن المفسِّرينَ اعتنوا عنايةً فائقةً باختيارِ أحسنِ ما قيلَ في تفسيرِ الآياتِ منَ الأقوالِ؛ إيمانًا منهم بأنَّ كتابَ اللهِ لا يُفَسَّرُ إلا بأفصحِ المعاني وأحسنِها وأقواها، **منهجُ الدراسةِ**: تقتضي طبيعة البحث تعدُّد المناهج؛ ولذلك فإن الباحث جمع في هذه الدراسة بين الاستقراء والتحليل للنصوص؛ أمَّا المنهج الاستقرائي ففي تتبُّع الأقوال التفسيرية المتعلِّقة بموضوع البحث. وأما المنهج التحليلي فذلك بتحليل النصوص المستقرأة، والوقوف على المعاني التي حسَّنَها ابن كثير -رحمه الله- والقواعد المتعلِّقة بالتحسين، **أصالة البحث**: يُعدُّ البحث لبنة من لبنات تناول (**قواعد تحسين الأقوال التفسيرية**)، يقدمها الباحث نموذجًا يسترشد به الباحثون الراغبون في إكمال الفكرة وإتمامها؛ **لذا يوصي الباحث بدراسات مستقبلية**: القيام برسائل علمية تجمع ما حسَّنه العلماء من أقوال تفسيرية؛ ليسترشد بها المفسِّرون، استقراء القواعد التي اعتمد عليها العلماء في تحسين الأقوال التفسيرية، وعمل معجم بها، القيام بدراسة شاملة للأقوال التي حسَّنَها ابن كثير -رحمه الله- والتي ضعَّفَها من خلال تفسيره.

الكلماتُ المفتاحيةُ: أقوال- تفسير- ابن كثير- حسن.

Abstract

This research aims to clarify a new idea that no one has dealt with, as far as I know, in an independent study, which is titles The Interpretive Sayings That Ibn Kathir Judged as Good and Its Types). I have done an applied study on the verses whose interpretive sayings were judged by Ibn Kathir as good. The research objective was to show that the commentators carefully chose the best sayings for the interpretation of the verses for they believe that Allah's Book can only be interpreted with the clearest, best and most powerful meanings. The study methodology for its nature requires multiple methodologies. Therefore, the researcher combined in this study between extrapolation and analysis of texts. The inductive methodology tracks the interpretational sayings related to the research topic while the analytical methodology analyzes the texts, finds the meanings that Ibn Kathir judged as good and the rules related to the Good Hadiths. Research originality: Research is one of the steps of addressing the (rules for refining interpretative statements), submitted by the researcher to be a model to guide researchers who wish to pursue and complete the idea. Therefore, the researcher recommends some future studies: the first suggested topic is to conducting scientific dissertations collecting what scholars have judged as good from interpretative sayings; so that the interpreters can have them as references, the second suggested topic is to extrapolating the rules that scholars relied on in judging the interpretative sayings as good and listing them in a glossary, and the third suggested topic is to conduct a comprehensive study of the sayings that Ibn Kathir has judged as good or weak through his interpretation.

Keywords: Sayings- interpretation- Ibn Kathir- improved

مقدمة:

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ، وأَشْهَدُ أنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ **[آل عمران: ١٠٢]**، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ **[النساء: ١]**، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ **[الأحزاب: ٧٠، ٧١]**.

أمَّا بعد: فإن شرف العلم على قدر شرف المعلوم، وإن أحقَّ ما يتعلَّمه المتعلِّمون، وأشرف ما يشتغل به الباحثون، وأفضل ما يتسابق إليه المتسابقون، مدارسةُ كتابِ الله، فهو خير ما صُرِفت إليه الهمم، وأعظم ما نطق به لسان، وجالَ فيه فكر، ومُدَّ به قلم، فقد أنزله الله على نبيه مُحَمَّد ﷺ بأحسن بيانٍ وأجمل عبارةٍ، وأبلغ دلالةٍ وهدايةٍ، غيرَ أن الغاية العظمى من إنزاله هي تدبُّره، والعمل بمقتضى أحكامه وشريعته، والاعتبار بقصصه وأخباره، والاستنارة بتوجيهاته وهداياته، والتفكُّر في آياته ومعانيه، فهو كتاب هذه الأمة المباركة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وهو السبيل إلى عزّها ونصرها وسموّها.

وقد أدرك العلماء كبير فضل الله عليهم، فأفنوا الأعمار، وانحنت الظهور، واجتهدوا في خدمة دين الله، وتبليغ رسالته، ودراسة كتابه المجيد وفق قواعد وأصول منهجية، تحول دون العبث بتفسير النص، فعمدوا بعد استقراء وجمع إلى استنباط مجموعة من القواعد التي تُعين على التفسير السليم، ولتكون بمنزلة الميزان الذي يُعرف به التفسير المقبول من غيره، بل اختيار الأحسن من الأقوال التفسيرية، وكان ممن تفرَّد في ذلك الإمام ابن كثير رحمه الله؛ حيث محَّص الأقوال، واختار أحسنها وفق قواعد منهجية معتبَرة.

وفي هذه الدراسة نعرض لاختيارات ابن كثير للأقوال التفسيرية، وكيف حكم عليها بالحسن ودرجاته، بصورة -حسب علمنا- لم يشبهه فيها أحد، فجاء متفرّدًا في ذلك.

وقد عزمتُ –مستعينًا بالله– بعد استشارة أهل التخصص في ذلك، فكانت هذه الدراسة بعنوان: (الأقوال التفسيرية التي حكم عليها ابن كثير بالحسن ودرجاته– دراسة تطبيقية).

أولًا: مشكلة البحث:

تتجلَّى مشكلة البحث في أن بعضًا من المفسِّرين يذكر الأقوال المختلفة في الآية دون تحسين، فيكتفي بعرضها فقط، أو عرض الرأي الذي يراه مجرَّدًا، أو على سبيل الحكاية، حتى كثرت الأقوال وقلَّ التمييز بين الحسن منها وغيره.

وكون ابن كثير أحدَ المفسرين الذين اعتنوا باختيار الأقوال الحسنة، حيث آثرت إبراز هذا الجهد بالبيان والتمثيل من خلال هذه الدراسة.

ثانيًا: أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن (القواعد التي سار عليها ابن كثير في حكمه على الأقوال التفسيرية بالحسن ودرجاته)، من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

١– ما الأقوال التفسيرية التي حكم عليها ابن كثير بقوله: (حسن)؟

٢– ما الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (قوي حسن)؟

٣– ما الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (حسن جدًّا)؟

٤– ما الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (حسن قوي)؟

٥– ما الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (حسن صحيح)؟

٦– الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (حسن جيد قوي)؟

٧– ما الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (قول حسن جيد)؟

٨– ما الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (حسن جدًّا)؟

٩– ما الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (قول حسن جيد قوي)؟

ثالثًا: أهمية البحث وأسباب اختياره:

١- الرغبة الملحَّة في دراسة هذا التفسير الذي لاقى قبولًا بين المسلمين.

٢- ضبط التفسير بقواعد صحيحة.

٣- بيان مدى تأثُّر ابن كثير بالصنعة الحديثية وتطبيقها على الأقوال التفسيرية.

٤- بيان مدى موافقته أو مخالفته لمن سبقه من المفسِّرين ممن عنوا بهذا الجانب.

٥- معرفة وجوه التحسين التي استعملها ابن كثير في حكمه على الأقوال التفسيرية.

٦- لم يسبق أحد -فيما أعلم- إلى تحرير هذا الموضوع مع عظيم أهميته، وشدة الحاجة إليه.

خامسًا: الدراسات السابقة:

بعد البحث في بعض الجامعات، وسؤال بعض المختصين، تبيَّن أنه ليس هناك أي دراسة خاصة مستقلة في هذا الموضوع.

سادسًا: منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الموصول بالتحليل، ويتمثَّل في استقصاء كل الأقوال التفسيرية التي حكم عليها ابن كثير بالحسن ودرجاته في تفسيره، ثم المناقشة من خلال الجمع وتحليل الأقوال للوصول إلى النتائج.

حدود البحث:

تعلَّق البحث بتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير فقط.

وكانت خطة البحث على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بالحافظ ابن كثير وتفسيره:

المطلب الأول: ترجمة الحافظ ابن كثير.

المطلب الثاني: التعريف بتفسير ابن كثير.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية:

المطلب الأول: الأقوال التفسيرية التي حكم عليها ابن كثير بقوله: (حسن).

المطلب الثاني: الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (قوي حسن).

المطلب الثالث: الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (حسن جدًّا).

المطلب الرابع: الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (حسن قوي).

المطلب الخامس: الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (حسن صحيح).

المطلب السادس: الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (حسن جيد قوي).

المطلب السابع: الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (قول حسن جيد).

المطلب الثامن: الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (حسن جدًّا).

المطلب التاسع: الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (قول حسن جيد قوي).

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التعريف بالحافظ ابن كثير وتفسيره

المطلب الأول: ترجمة الحافظ ابن كثير:

نسبه: هو الإمام الجليل الحافظ، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي[(١)].

نشأته:

نشأ الحافظ ابنُ كثير في بيت علمٍ ودينٍ، فأبوه عمر بن حفص بن كثير، أخذ عن النواوي والفزاري، وكان خطيب قريته، وتُوفِّي أبوه وعمره ثلاث سنوات أو نحوها، وانتقلت الأسرة بعد موت والد ابن كثير إلى دمشق في سنة (٧٠٧ هـ)، وخلف والده أخوه عبد الوهاب، فقد بذل جهدًا كبيرًا في رعاية هذه الأسرة بعد فقدها لوالدها، وعنه يقول الحافظ ابن كثير: "وقد كان لنا شقيقًا، وبنا رفيقًا شفوقًا، وقد تأخَّرتْ وفاته إلى سنة (٧٥٠هـ)، فاشتغلت على يديه في العلم، فيسَّر الله منه ما تيسَّر، وسهل منه ما تعسر"[(٢)].

ثناء العلماء عليه:

قال الحافظ الذهبي في طبقات شيوخه: "وسمعت مع الفقيه المفتي المحدِّث، ذي الفضائل، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الشافعي ... سمع من ابن الشحنة وابن الزراد وطائفة، له عناية بالرجال والمتون والفقه، خرَّج وناظر وصنَّف وفسَّر وتقدَّم"[(٣)].

وقال عنه أيضًا في المعجم المختص: "الإمام المفتي المحدِّث البارع، فقيه متفنِّن، محدِّث متقن، مفسِّر نقَّال"[(٤)].

قال العيني: "كان قدوة العلماء والحفَّاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، وسمع وجمع وصنَّف، ودرس، وحدَّث، وألَّف، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ،

(١) الذهبي، **التفسير والمفسرون** (١/ ١٧٣).

(٢) ابن كثير، **البداية والنهاية** (١٤/ ٣٢).

(٣) الذهبي، **طبقات الحفاظ** (٤/ ٢٩)، شاكر، **عمدة التفسير** (١/ ٢٥).

(٤) الذهبي، **المعجم المختص** (٧٤).

واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهى إليه رياسة علم التاريخ والحديث والتفسير، وله مصنفات عديدة مفيدة"[١].

المطلب الثاني: التعريف بتفسير ابن كثير:

قال الذهبي رحمه الله: ... يمتاز في طريقته بأنه يذكر الآية، ثم يُفسِّرها بعبارة سهلة موجزة، وإن أمكن توضيح الآية بآية أخرى ذكرها، وقارن بين الآيتين حتى يتبيَّن المعنى، ويظهر المراد، وهو شديد العناية بهذا النوع من التفسير الذي يسّمونه تفسير القرآن بالقرآن، وهذا الكتاب أكثر ما عُرِف من كتب التفسير سردًا للآيات المتناسبة في المعنى الواحد.

ثم بعد أن يفرغ من هذا كله، يشرع في سرد الأحاديث المرفوعة التي تتعلق بالآية، ويبيّن ما يُحتَج به وما لا يُحتَج به منها، ثم يردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين ومَن يليهم من علماء السلَف.

ونجد ابن كثير يُرَجِّح بعض الأقوال على بعض، ويُضَعِّف بعض الروايات، ويُصحِّح بعضًا آخر منها، ويُعَدِّل بعض الرواة ويُجَرِّح بعضًا آخر. **وهذا يرجع إلى ما كان عليه من المعرفة بفنون الحديث وأحوال الرجال.**

ومما يمتاز به ابن كثير، أنه يُنَبِّه إلى ما في التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات، ويُحَذِّر منها على وجه الإجمال تارة، وعلى وجه التعيين والبيان لبعض منكراتها تارة أخرى.

كما نلاحظ على ابن كثير أنه يدخل في المناقشات الفقهية، ويذكر أقوال العلماء وأدلتهم عندما يشرح آية من آيات الأحكام[٢].

أهمية تفسيره:

يُعدُّ تفسير الحافظ ابن كثير –رحمه الله– من الكتب التي كتب الله لها القبول والانتشار، فلا تكاد تخلو منه اليوم مكتبة سواء كانت شخصية أو عامة.

---

(١) ابن تغري، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** (١١/ ١٢٣).

(٢) الذهبي، **التفسير والمفسرون** (١/ ١٧٤).

ويمكن أن نجمل ما تميَّز به في النقاط التالية:

١- ذكر الحديث بسنده.

٢- حكمه على الحديث في الغالب.

٣- ترجيح ما يرى أنه الحق، دون التعصب لرأي أو تقليد بغير دليل.

٤- عدم الاعتماد على القصص الإسرائيلية التي لم تثبت في كتاب الله ولا في صحيح سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وربما ذكرها وسكت عليها، وهو قليل.

٥- تفسيره ما يتعلق بالأسماء والصفات على طريقة سلف الأمة رحمهم الله، من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل.

٦- استيعاب الأحاديث التي تتعلق بالآية؛ فقد استوعب رحمه الله الأحاديث الواردة في عذاب القبر ونعيمه عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧][(١)].

طَرِيقَته في التفسير:

أبَانَ ابنُ كَثير عَنْ طَرِيقَتِهِ في مُقدِّمةِ تَفْسِيرِه، قال: "فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فمَا أحْسَنُ طُرُقِ التَّفْسِيرِ؟ فَالْجوابُ: إنَّ أصَحَّ الطُّرُقِ فِي ذَلِكَ أنْ يُفَسَّرَ القرآنُ بالقرآنِ، فَمَا أُجْمِلَ فِي مكَانٍ فإنه قد بُسِطَ في مَوْضِعٍ آخرَ، فإن أعْياكَ فَعَلَيْكَ بالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّهَا شَارِحةٌ للقُرْآنِ وَمُوَضِّحةٌ لَهُ، وحِينَئذٍ إِذَا لَمْ نَجِدِ التفْسِيرَ فِي القُرآنِ وَلَا فِي السُّنةِ رَجَعْنا فِي ذَلِكَ إِلَى أَقْوالِ الصَّحابةِ؛ فَإِنَّهُمْ أدْرَى بِذَلِكَ لِمَا شَاهَدُوا مِنَ القَرائِنِ والأحْوالِ الَّتِي اخْتُصُّوا بِهَا، ولِما لَهُمْ مِنَ الفَهْمِ التَّامِ والعِلْمِ الصَّحِيح والعَمَلِ الصَّالِحِ، لا سيَّما عُلَماءَهُم وكُبَراءَهُمْ كالأئمَّةِ الأربعةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدين، والأئمة المهتدِينَ الْمهدِيِّينَ، وعَبْدَ اللَّهِ بْن مَسْعودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين- وإذا

(١) الوادعي، **المقدمة** (ص٥).

لَمْ تَجِدِ التفْسِيرَ فِي القُرآنِ وَلَا فِي السُّنةِ وَلَا وَجَدْتَهُ عنِ الصَّحابةِ، فَقَدْ رَجَعَ كَثير مِنَ الأئمةِ فِي ذَلِكَ إِلَى أقوالِ التَّابِعينَ"[١].

اكتفيت بذلك لشهرة المفسر، ولطبيعة البحث.

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مقدمة المحقق: سامي سلامة (١/ ٨).

المبحث الثاني

الدراسة التطبيقية

كان ابن كثير -رحمه الله- قبل أن يضع الأقوال التفسيرية في تفسيره؛ يُمَحِّصها ويدقِّقها؛ وذلك بعرضها على معايير القبول التي سار عليها في تفسيره، والذي ساعده على ذلك درايته الواسعة بعلوم الحديث ومصطلحه.

المطلب الأول: الأقوال التفسيرية التي حكم عليها ابن كثير بقوله: (حسن):

المسألة الأولى:

المراد بالمرض في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ١٠].

القول الذي حسنَّه ابن كثير رحمه الله:

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رحمه الله[(١)]: {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ } قال: هذا مرض في الدين، وليس مرضًا في الأجساد، وهم المنافقون.

والمرض: الشك الذي دخلهم في الإسلام. { فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} قال: زادهم رجسًا، وقرأ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٥]، قال: شرًّا إلى شرهم، وضلالة إلى ضلالتهم.

حكم ابن كثير رحمه الله: وهذا الذي قاله عبد الرحمن -رحمه الله- **حسن**[(٢)].

التعليق:

---

(١) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، مولاهم، المدني: محدث، مفسر، روى عن أبيه، وعنه روى عبد الرزاق بن همام، وعبد الله بن وهب وغيرهما، له "الناسخ والمنسوخ"، و"تفسير القرآن"؛ قال فؤاد سزكين: "يحتوي جزء كبير منه على شروح لغوية، ويبدو أنه كان أحد المراجع الهامة لتفسير الطبري، فقد استخدمه في حوالي ١٨٠٠ موضع بالرواية الآتية: حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: حدثنا ابن وهب قال: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم". **معجم المفسرين** (١/ ٢٦٥).

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (١/ ١٨١).

حسَّن ابن كثير –رحمه الله– قول عبد الرحمن بن زيد؛ لأنه فسَّر الآية بمعنى آية أخرى، والقاعدة تقول: **"القول الذي تؤيِّده آيات قرآنية مُقدم على ما عُدِم ذلك"**(١).

وقال الإمام العز ابن عبد السلام –رحمه الله–: "وأولى الأقوال ما دلَّ عليه الكتاب في موضع آخر ..."(٢).

وقال ابن جزي –رحمه الله– في وجوه الترجيح: "تفسير بعض القرآن ببعض، فإذا دلَّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه، ورجَّحنا القول بذلك على غيره من الأقوال"(٣).

ومعلوم أن تفسير القرآن بالقرآن من أحسن طرق التفسير، كما أشار ابن كثير إلى ذلك في مقدمة تفسيره(٤).

واستدل ابن كثير –رحمه الله– على حسن هذا القول بما يأتي:

النظائر القرآنية: قال: وهو نظير قوله تعالى أيضًا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧](٥) أي: والذين قصدوا الهداية وفَّقهم الله لها فهداهم إليها، وثبَّتهم عليها، وزادهم منها(٦).

١- **قاعدة:** الجزاء من جنس العمل(٧).

٢- أن هذا الرأي قاله الأولون(١).

---

(١) الحربي، **قواعد الترجيح** (١٧٨).

(٢) ابن عبد السلام، **الإشارة إلى الإيجاز** (٢٢٠).

(٣) ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل** (١/ ١٩).

(٤) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (١/ ٧).

(٥) المرجع السابق (١/ ١٨١).

(٦) المرجع السابق (٧/ ٣١٥).

(٧)وهي قاعدة مستقرة في الشريعة، كما قال المقريزي في **إمتاع الأسماع** (١١/ ١٦٧)، وكثير من أدلتها في القرآن والسنة، وكما قال ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٣).

فاجتمع في التحسين أكثر من قاعدة.

المسألة الثانية:

المراد بالفساد في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١٢].

قال ابن جرير -رحمه الله-: فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه، وتضييعهم فرائضه، وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد عمل إلا بالتصديق به والإيقان بحقيقته، وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب، **ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله، إذا وجدوا إلى ذلك سبيلًا**، فذلك إفساد المنافقين في الأرض، وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها(٢).

وهذا الذي قاله حسن، فإن من الفساد في الأرض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء(٣).

التعليق:

استدل ابن كثير -رحمه الله- على حسن هذا القول:

١- النظائر القرآنية المبينة لخطورة ولاية المنافقين للكافرين: كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣]، فقطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء: ١٤٤]، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥]، فالمنافق لما كان ظاهره الإيمان، اشتبه أمره

=

(١) قال ذلك ابن عباس: {في قلوبهم مرضٌ} أي: شكٌّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: {في قلوبهم مرضٌ} يقول: في قلوبهم شكٌّ، وعن قتادة في قوله: {في قلوبهم مَرَض} قال: في قلوبهم رِيبَة وشك في أمر الله جل ثناؤه، وعن الربيع بن أنس: {في قلوبهم مَرَضٌ} قال: هؤلاء أهلُ النفاق، والمرضُ الذي في قلوبهم: الشك في أمر الله تعالى ذكره. انظر: **تفسير الطبري** (١/ ٢٨٠).

(٢) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن** (١/ ٢٨٩).

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (١/ ١٧٩).

على المؤمنين، فكأن الفساد من جهة المنافق حاصل؛ لأنه هو الذي غرَّ المؤمنين بقوله الذي لا حقيقة له، ووالى الكافرين على المؤمنين، ولو أنه استمر على حالته الأولى لكان شرُّه أخف، ولو أخلص العمل لله، وتطابق قوله وعمله، لأفلح وأنجح.

٢- الاستدلال برأي ابن عباس -رضي الله عنهما- لحسن المعنى:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ **[البقرة: ١١]** أي: نريد أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين، ونصطلح مع هؤلاء وهؤلاء، كما قال مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن عكرمة -أو سعيد بن جبير- عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ **[البقرة: ١١]** أي: إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب. يقول الله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ **[البقرة: ١٢]** يقول: ألا إن هذا الذي يعتمدونه، ويزعمون أنه إصلاح هو عين الفساد؛ ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فسادًا(١).

وقد ذكر الإمام ابن جزي -رحمه الله- في مقدمة تفسيره من قواعد الترجيح: "أن يكون القول قول من يُقْتدى به من الصحابة كعبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ لقول رسول الله ﷺ: «**اللهم فَقِّهه في الدِّينِ، وعلِّمه التأويل**»(٢)(٣).

المسألة الثالثة:

معنى العهد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ **[البقرة: ٢٧].**

اختلف أهل التفسير في معنى (العهد) الذي وُصِف هؤلاء الفاسقون بنقضه:

(١) المرجع السابق (١/ ١٨١).

(٢) أحمد، المسند: مسند عبد الله بن عباس (٢٣٩٧)، قال محققو المسند: إسناده قوي على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين؛ غير عبد الله بن عثمان بن خثيم، فمن رجال مسلم، وهو صدوق. زهير أبو خيثمة: هو ابن معاوية.

(٣) ابن جزي، **التسهيل في علوم التنزيل** (١/ ١٩).

– **فقال بعضهم**: هو وصية الله إلى خلقه، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إيَّاهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه، وعلى لسان رسله، ونقضهم ذلك: هو تركهم العمل به.

– **وقال آخرون**: بل هي في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم، وعهد الله الذي نقضوه هو ما أخذه الله عليهم في التوراة من العمل بما فيها، واتباع مُحَمَّد ﷺ إذا بُعِث، والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم، ونقضهم ذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته، وإنكارهم ذلك، وكتمانهم علم ذلك عن الناس بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبيّنه للناس ولا يكتمونه؛ فأخبر تعالى أنهم نبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنًا قليلًا. وهذا اختيار ابن جرير –رحمه الله– وقول مقاتل بن حيان(١).

– **وقال آخرون**: بل عنى بهذه الآية جميع أهل الكفر، والشرك، والنفاق. وعهده إلى جميعهم في توحيده: ما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته، وعهده إليهم في أمره ونهيه: ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثلها، الشاهدة لهم على صدقهم، قالوا: ونقضهم ذلك: تركهم الإقرار بما ثبتت لهم صحته بالأدلة، وتكذيبهم الرسل والكتب، مع علمهم أن ما أتوا به حق، وروي أيضًا عن مقاتل بن حيان نحو هذا، **وهو حسن**، وإليه مال الزمخشري، فإنه قال: فإن قلت: فما المراد بعهد الله؟ قلت: ما رَكَزَّ في عقولهم من الحجة على التوحيد؛ كأنه أَمْر وَصاهَم به، ووثَّقه عليهم(٢).

التعليق:

(١) مقاتل بن حيان، أبو بسطام البلخي الخراز: مفسِّر، حافظ للحديث، مؤرِّخ، كان عالم خراسان في وقته. حدَّث عن عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم، وثَّقه يحيى بن معين وأبو داود، وقال الذهبي: كان إمامًا صادقًا، ناسكًا خيِّرًا، كبير القدر، صاحب سُنة واتباع. دعا خلقًا إلى الإسلام فأسلموا. من آثاره: "تفسير القرآن"، قال فؤاد سزكين: "وهو أحد مراجع الثعلبي في كتابه "الكشف والبيان"، ومن الكتب التي حصل عليها الخطيب البغدادي في دمشق على إجازتها وروايتها. ولقد استخدمه أيضًا الطبري في تفسيره وتاريخه". **معجم المفسرين** (٢/ ٦٨٢).

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (١/ ٢١٠).

سبب تحسين ابن كثير للرأي: أنه رأي جامع لما قيل في تفسيرها، وقال به جمع من المفسرين:

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "وجمع عبارات السلف في مثل هذا نافع جدًّا؛ فإن مجموع عباراتهم أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين"(١).

المسألة الرابعة:

معنى العطاء لوجه الله في قوله: ﴿ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ ٢٧٢﴾ [البقرة: ٢٧٢].

قال عطاء الخراساني(٢): يعني إذا أعطيت لوجه الله، فلا عليك ما كان عمله.

قال ابن كثير: **وهذا معنى حسن**(٣).

التعليق:

شرح المعنى: أن المتصدِّق إذا تصدَّق ابتغاء وجه الله، فقد وقع أجره على الله، ولا عليه في نفس الأمر لمن أصاب: ألبر، أو فاجر، أو مستحق، أو غيره؟ هو مثاب على قصده(٤).

الأدلة على حسن هذا المعنى:

١) النظائر القرآنية:

قوله تعالى: ﴿ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ ٢٧٢﴾ [البقرة: ٢٧٢].

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى** (١٣/ ٣٤٣).

(٢) هو: عطاء بن أبي مسلم ميسرة، وقيل: عبد الله الخراساني، أبو عثمان، ويقال: أبو محمد وأبو صالح: مفسِّر، محدِّث، معروف بالفتوى والجهاد. من أهل سمرقند، وقيل: من أهل بلخ. سكن الشام، ومات بأريحا، ودُفن ببيت المقدس. من آثاره "تفسير القرآن"، استخدمه الطبري في تفسيره، تُوفِّي (١٣٥هـ). **معجم المفسرين** (١/ ٣٤٧).

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (١/ ٧٠٤).

(٤) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (١/ ٧٠٤).

الحديث النبوي:

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ! قَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ! قَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ! فَقَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ؛ أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ**»[(١)].

قال ابن حجر -رحمه الله-: "إن نية المتصدق إذا كانت صالحة قُبِلتْ صدقته، ولو لم تقع الموقع"[(٢)].

اجتمع في الرأي المختار أكثر من طريقة من طرق التفسير، النظائر القرآنية، والحديث النبوي.

المسألة الخامسة:

المراد بقوله: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩] أي: في مباشرة أموال اليتامى، ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟﴾ [النساء: ٦] حكاه ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عباس: **وهو قول حسن.**

التعليق:

الأدلة على حسن المعنى:

---

(١) **صحيح مسلم**: كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ ثُبُوتِ أَجْرِ الْمُتَصَدِّقِ، وَإِنْ وَقَعَتِ الصَّدَقَةُ فِي يَدِ غَيْرِ أَهْلِهَا (٢/ ٧٠٩) برقم (١٠٢٢).

(٢) ابن حجر، **فتح الباري** (٣/ ٢٩١).

دلالة السياق: قال ابن كثير –رحمه الله–: **يتأيد بما بعده من التهديد في أكل مال اليتامى ظلمًا**، أي: كما تحب أن تُعامَل ذريتك من بعدك، فعامل الناس في ذرياتهم إذا وليتهم(١).

ثم أعلمهم أن من أكل مال يتيم ظلمًا، فإنما يأكل في بطنه نارًا؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء: ١٠] أي: إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب، فإنما يأكلون نارًا تأجج في بطونهم يوم القيامة.

وهذا موافق للقاعدة التي تقول: "إذا احتمل الكلام معنيين، كان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق، كان الحمل عليه أولى"(٢).

– دلالة السنة النبوية:

وقد ثبت في الصحيحين(٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ**»(٤).

المسألة السادسة:

قال الله تعالى رادًّا عليهم: ﴿قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَ ١٨﴾ [المائدة: ١٨] أي: لو كنتم كما تدَّعون أبناءه وأحباءه، فلِمَ أعدَّ لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وافترائكم؟

(١) ابن كثير، ت**فسير القرآن العظيم** (٢/ ٢٢٢).

(٢) ابن عبد السلام، **الإشارة إلى الإيجاز** (٢٢٠).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٢/٢٢٢.

(٤) **صحيح البخاري**: كِتَابُ الوَصَايَا، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: ١٠] رقم (٢٧٦٦)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم (٨٩).

وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذِّب حبيبه؟ فلم يرد عليه، فتلا الصوفي هذه الآية: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة: ١٨].

وهذا الذي قاله حسن[(١)].

استدل ابن كثير -رحمه الله- على حسن هذا القول بشاهد من السنة النبوية الصحيحة. قال: وله شاهد في المسند للإمام أحمد عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ صَبِيٌّ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ، فَمَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا رَأَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ الْقَوْمَ خَشِيَتْ أَنْ يُوطَأَ ابْنُهَا، فَسَعَتْ وَحَمَلَتْهُ، وَقَالَتْ: ابْنِي ابْنِي، قَالَ: فَقَالَ الْقَوْمُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُلْقِيَ ابْنَهَا فِي النَّارِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا، وَلَا يُلْقِي اللهُ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ»[(٢)].

واستحسانه لهذه المقولة لمعناها المقبول نفسيًّا، ولا يأباه القلب، وهو معنى الحسن في اللغة: هو ما تَمِيلُ إليهِ النَّفْسُ ولا يأباهُ القلبُ[(٣)].

المسألة السابعة:

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩] يقولون للرب -عز وجل-: لا علم لنا، إلا علم أنت أعلم به منا، رواه ابن جرير. ثم اختاره ... **ولا شك أنه قول حسن.**

التعليق:

الأدلة على حسن القول: (معهود القرآن): **وهو من باب التأدُّب مع الرب -عز وجل-**[(١)] الذي هو معهود القرآن؛ أي: لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء،

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٣/ ٦٩).

(٢) **مسند أحمد، مسند أنس بن مالك** (٣/ ١٠٤)، (١٣٤٦٨)، إسناده صحيح على شرط الشيخين، قال الألباني: صحيح. انظر: **السلسلة الصحيحة** (٢٤٠٧).

(٣) ابن الصلاح، **المقدمة** (١١٠).

فنحن وإن كنا قد أجبنا وعرفنا من أجابنا، ولكن منهم من كنا إنما نطلع على ظاهره، لا علم لنا بباطنه، وأنت العليم بكل شيء، المطلع على كل شيء، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم، فإنك {أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ}(٢).

المسألة الثامنة:

في عود الضمير في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٦].

قوله تعالى: {**وَمِن ذُرِّيَّتِهِ**} أي: وهدينا من ذريته {**دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ**} الآية، وعود الضمير إلى "نوح" لأنه أقرب المذكورين، ظاهر. وهو اختيار ابن جرير، ولا إشكال عليه. وعوده إلى "إبراهيم" لأنه الذي **سبق الكلام من أجله حسن**(٣).

التعليق:

وقد حسَّن ابن كثير –رحمه الله– **هذا الرأي، وهو موافق لقاعدة: "... إن الضمير إذا كان صالحًا لأن يعود على الأقرب وعلى الأبعد، كان عوده على الأقرب راجحًا ...**

=

(١) وهذا الأدب سنة الأنبياء، والأولياء، والعلماء، كما قال عيسى –عليه السلام–: {إن تعذبهم فإنهم عبادك} [المائدة: ١١٨]، وكذلك قول الخضر –عليه السلام– في السفينة: {فأردت أن أعيبها} [الكهف: ٧٩]. ولم يقل: فأراد ربك أن أعيبها، وكذلك قول مؤمني الجن: {وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض} [الجن: ١٠] ولم يقولوا: أراده بهم. ثم قالوا: {أم أراد بهم ربهم رشدًا} [الجن: ١٠] ... وهذا من أبلغ الأدب مع الله. انظر: ابن القيم، **مدارج السالكين**، منزلة الأدب (٢/ ٣٥٨، ٣٥٩).

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٣/ ٢٢٢).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٢٩٨).

وأنه إذا كان أحدهما هو المحدث عنه والآخر فضلة، كان عوده على المحدث عنه أرجح، ولا يلتفت إلى القرب"[1].

فإن قال قائل: إن لوطًا ليس من ذرية إبراهيم عليهم السلام.

فالجوابُ: أن عود الضمير على التغليب.

المسألة التاسعة:

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأنعام:١٤٢].

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الحمولة ما تركبون، والفرش ما تأكلون وتحلبون، شاة لا تحمل، تأكلون لحمها، وتتخذون من صوفها لحافًا وفرشًا.

هذا الذي قاله عبد الرحمن في تفسير هذه الآية الكريمة حسن.

الأدلة على حسن التفسير:

الشواهد القرآنية:

يشهد له قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [يس: ٧١، ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل:٦٦] **إلى أن قال:** ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾ [النحل: ٦٩- ٨٠].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ [غافر: ٧٩- ٨١][2].

(١) أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير** (٧/ ٣٣٠).

(٢) **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير (٣/ ٣٥٠).

المسألة العاشرة:

قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ ﴾ [الحج: ١٩-٢١].

عن شعبة، عن قتادة في قوله: ﴿ هَذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾ **قال: مصدق ومكذب.**

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد في هذه الآية: مثل الكافر والمؤمن اختصما في البعث. وقال في رواية هو وعطاء: في هذه الآية: هم المؤمنون والكافرون.

وقال عكرمة: ﴿ هَذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾ قال: هي الجنة والنار، قالت النار: اجعلني للعقوبة، وقالت الجنة: اجعلني للرحمة.

وقول مجاهد وعطاء: إن المراد بهذه الكافرون والمؤمنون، **يشمل الأقوال كلها**، وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها؛ فإن المؤمنين يريدون نصرة دين الله، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل. **وهذا اختيار ابن جرير، وهو حسن**؛ ولهذا قال: {قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ} أي: فصلت لهم مقطعات من نار، قال سعيد بن جبير: من نحاس، وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمي[(١)].

المسألة الحادية عشر:

قوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣﴾ [النمل: ٤٣].

هذا من تمام كلام سليمان عليه السلام في قول مجاهد، وسعيد بن جبير رحمهما الله؛ أي: قال سليمان: ﴿ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ٤٢ ﴾ [النمل: ٤٢]، وهي كانت قد صدَّها، أي:

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٥/ ٤٠٦).

منعها من عبادة الله وحده. { مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ }. **وهذا الذي قاله مجاهد وسعيد حسن، وقاله ابن جرير أيضًا**[1].

المسألة الثانية عشر:

قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢].

هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق.

قال ابن عباس، والحسن، وقتادة -وروي عن علي ﷺ-: تكلمهم كلامًا؛ أي: تخاطبهم مخاطبة.

وقال ابن عباس -في رواية-: تجرحهم. وعنه رواية، قال: كلًّا تفعل يعني هذا وهذا.

وهو قول حسن، ولا منافاة[2].

المسألة الثالثة عشر:

قال تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٧].

قال عكرمة: رأس الماعون زكاة المال، وأدناه: المنخل والدلو والإبرة. رواه ابن أبي حاتم.

وهذا الذي قاله عكرمة حسن.

التعليق:

تحسين القول؛ لأنه يشمل **الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد؛ وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة**؛ ولهذا قال مُحَمَّد بن كعب: قال تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون:

(١) المرجع السابق (٥/ ٤٨٢).

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٦/ ٢١١).

٧]، قال: المعروف[١]؛ ولهذا جاء في الحديث الذي رواه البخاري بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**»[٢].

المطلب الثاني: الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (قوي حسن):

المسألة الأولى:

قال تعالى : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢].

واختار ابن جرير –رحمه الله– أن (**مَنَعَكَ**) تَضَمَّنَ معنى فعل آخر تقديره: ما أحوجك، وألزمك، واضطرك ألا تسجد إذ أمرتك، ونحو ذلك. **وهذا القول قوي حسن**[٣].

التعليق:

تقوية ابن كثير –رحمه الله– لهذا القول بسبب **أسلوب التَّضْمِينِ**، "وشَأْنُ التَّضْمِينِ أَنْ يُفِيدَ الْمُضَمَّنُ مُفَادَ كَلِمَتَيْنِ، فَهُوَ مِنْ أَلْطَفِ الْإِيجَازِ"[٤]. وقال الزمخشري –رحمه الله–: "فإن قلت: أي غرض في التَّضْمِينِ؟ قلت: الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، **وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ**[٥].

وبهذا الاختيار وسبب اختياره تبيَّن أن قول ابن كثير: (**قوي حسن**)، يعني بذلك أقوى وأحسن الأقوال التي قيلت في معنى كلمة (**مَنَعَكَ**).

وقال ابن القيم –رحمه الله– حول أسلوب التضمين: ... هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه –رحمه الله تعالى– وطريقة حذَّاق أصحابه، يضمِّنون الفعل معنى الفعل، لا يقيمون

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٨/ ٤٩٧).

(٢) **صحيح البخاري**: كِتَابُ الأَدَبِ، بَابٌ: كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، (٦٠٢١).

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٣/ ٣٩٢).

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (٢٣/ ١٣٣).

(٥) الزمخشري، **الكشاف** (٢/ ٧١٧).

الحرف مقام الحرف، **وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار، تستدعي فطنة ولطافة في الذهن**(١).

المسألة الثانية:

قال تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المؤمنون: ٦٣].

قوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ قال الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس: { ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾ } أي: سيئة من دون ذلك، يعني: الشرك، ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ قال: لا بد أن يعملوها. كذا رُوي عن مجاهد، والحسن، وغير واحد.

وقال آخرون: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ أي: قد كتب عليهم أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة؛ لتحق عليهم كلمة العذاب. ورُوي نحو هذا عن مقاتل بن حيان والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. **وهو ظاهر قوي حسن**(٢).

التعليق:

هذا الرأي قوي حسن؛ لأنه قول أكثر المفسِّرين والقاعدة تقول: "**أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإنَّ كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه**"(٣).

(١) ابن القيم، **بدائع الفوائد** (٢/ ٢١).

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٥/ ٤٨٢).

(٣) ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل** (١/ ١٩).

المطلب الثالث: الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (حسن جدًّا):

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال: ٢٥] يعني: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خاصة.

وقال في رواية له، عن ابن عباس، في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين ظهرانيهم إليهم، فيعمَّهم الله بالعذاب، **وهذا تفسير حسن جدًّا.**

ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾: هي أيضًا لكم، وكذا قال الضحاك، ويزيد بن أبي حبيب، وغير واحد(١).

ثم قال: والقول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم -وإن كان الخطاب معهم - هو الصحيح، ويدل على ذلك الأحاديث الواردة في التحذير من الفتن، والتي منها:

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**»(٢).

وعن النُّعْمَان بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا**»(٣).

التعليق:

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٤/ ٣٨).

(٢) **سنن الترمذي**: أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ (٥/ ٣٨٨)، برقم (٢١٦٩)، قال الألباني: صحيح.

(٣) **صحيح البخاري**: كِتَاب الشَّرِكَةِ، بَابٌ: هَلْ يُقْرَعُ فِي القِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ، برقم (٢٤٩٣).

التحسين للقول؛ لتحقيقه معنى خيرية الأمة الإسلامية، وشرطها وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وللأحاديث الصحيحة الواردة في هذا المعنى، ولإجماع أهل التفسير.

المطلب الخامس: الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (حسن قوي):

المسألة الأولى:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ [الإسراء: ١٠١].

قال: ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والشعبي وقتادة: هي يده، وعصاه، والسنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، **وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي**(١).

وقد ورد هذا القول بإسناد صحيح: عن مغيرة عن الشعبي في قوله: {تسع آيات بينات} قال: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، ونقص من الثمرات، وعصاه، ويده. رجاله ثقات، وإسناده صحيح.

وقد بيَّن -جل وعلا- هذه الآيات في مواضع أخر:

كقوله: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٧-١٠٨] وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأعراف:١٣٠] وقوله: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾[الشعراء:٦٣] وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف:١٣٣].

التعليق:

التحسين والتقوية:

- لأن هذا المعنى ذكره جمع من أهل التفسير.

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٥/ ١٢٤).

- ولأن هذا الرأي جمع بين الآيات القرآنية التي ذكرت الآيات التي آتاها الله موسى عليه السلام.

المسألة الثانية:

قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [الصافات: ٦٨] أي: ثم إن مردَّهم بعد هذا الفصل لإلى نار تتأجَّج، وجحيم تتوقَّد، وسعير تتوهج، فتارة في هذا، وتارة في هذا، كما قال تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٤]. هكذا تلا قتادة -رحمه الله- هذه الآية عند هذه الآية، وهو **تفسير حسن قوي**(١).

التعليق:

وسبب الحسن والقوة أن قتادة -رحمه الله- فسَّر الآية بآية أخرى، وهذا أحسن التفاسير.

المسألة الثالثة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

اختار ابن جرير أن المراد بقوله: { إِنَّ هَٰذَا } إشارة إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [الأعلى: ١٨] ثم قال: { إِنَّ هَٰذَا } أي: مضمون هذا الكلام ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩](٢).

التعليق: هذا اختيار حسن قوي. وقد روي عن قتادة وابن زيد نحوه(٣).

المسألة الرابعة:

قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾ [البلد: ٢، ٣].

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٧/ ٢١).

(٢) **تفسير الطبري** (٣٠/ ١٠١) .

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٨/ ٣٨٣).

قوله: { وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ} قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن عطية، عن شريك، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: { وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ} الوالد: الذي يلد، وما ولد: العاقر الذي لا يولد له.

ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث شريك –وهو ابن عبد الله القاضي– به.

وقال عكرمة: الوالد: العاقر، وما ولد: الذي يلد. رواه ابن أبي حاتم.

وقال مجاهد، وأبو صالح، وقتادة، والضحاك، وسفيان الثوري، وسعيد بن جبير، والسدي، والحسن البصري، وخصيف، وشرحبيل بن سعد وغيرهم: يعني بالوالد آدم، وما ولد ولده.

وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه **حسن قوي**؛ لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى، وهي المساكن أقسم بعده بالساكن، وهو آدم أبو البشر وولده[1].

وقال أبو عمران الجوني: هو إبراهيم وذريته. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم.

واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده. وهو محتمل أيضًا[2].

التعليق:

التحسين: لقول جماعة من أهل التفسير لهذا المعنى.

المطلب السادس: الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (حسن صحيح):

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

(١) قال الخازن –رحمه الله–: أقسم الله تعالى بمكة؛ لشرفها وحرمتها، وبآدم وبالأنبياء والصالحين من ذريته؛ لأن الكافر وإن كان من ذريته لا حرمة له حتى يقسم به. **تفسير الخازن** (٤/ ٤٢٩).

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٨/ ٤٠٣).

قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ قال بعضهم: معناه لا تبدلوا خلق الله؛ فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها؛ فيكون خبرًا بمعنى الطلب، كقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۝٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧]، وهذا معنى حسن صحيح(١).

التعليق:

التحسين بسبب النظائر القرآنية.

المطلب السابع: الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (حسن جيد قوي):

قال تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۝٥١﴾[الأحزاب: ٥١].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقُولُ: أَتَهَبُ المَرْأَةُ نَفْسَهَا؟! فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ قُلْتُ: مَا أُرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ(٢).

والمراد بقوله: { تُرْجِي } أي: تؤخر، { تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ } أي: من الواهبات أنفسهن، { وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ } أي: مَن شئت قبلتها، ومَن شئت رددتها، ومَن رددتها فأنت فيها أيضًا بالخيار بعد ذلك، إن شئت عدت فيها فآويتها؛ ولهذا قال: { وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ }. قال عامر الشعبي في قوله: {ترجي من تشاء منهن وتؤوي

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٦/٣١٤.

(٢)صحيح البخاري: كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: (تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ) برقم (٤٧٨٨).

إليك من تشاء}: كنَّ نساء وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فدخل ببعضهن، وأرجأ بعضهن لم ينكحن بعده، منهن أم شريك.

وقال آخرون: بل المراد بقوله: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ أي: من أزواجك، لا حرج عليك أن تترك القسم لهن، فتقدم من شئت، وتؤخر من شئت، وتجامع من شئت، وتترك من شئت.

هكذا يروى عن ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وأبي رزين، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم، ومع هذا كان -صلوات الله وسلامه عليه- يقسم لهنَّ؛ ولهذا ذهب طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم إلى أنه لم يكن القسم واجبًا عليه -صلوات الله وسلامه عليه- واحتجوا بهذه الآية الكريمة.

وقال البخاري: حدثنا حبان بن موسى، حدثنا عبد الله -هو ابن المبارك- أخبرنا عاصم الأحول، عن معاذة، عن عائشة: أنَّ رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾، فقلت لها: ما كنت تقولين؟ فقالت: كنت أقول: إن كان ذاك إليَّ فإني لا أريد يا رسول الله أن أؤثر عليك أحدًا[1].

فهذا الحديث عنها يدل على أن المراد من ذلك عدم وجوب الْقَسْمِ، وحديثها الأول يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات، ومن هاهنا اختار ابن جرير -رحمه الله- أن الآية عامة في الواهبات وفي النساء اللاتي عنده، أنه مخير فيهن، إن شاء قَسَمَ، وإن شاء لم يَقْسِمْ. وهذا الذي اختاره **حسن جيد قوي، وفيه جمع بين الأحاديث**.

ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ أي: إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في الْقَسْمِ، فإن شئت قسمت، وإن شئت لم

(١) **صحيح البخاري**: كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ} برقم (٤٧٨٩).

تقسم، لا جناح عليك في أي ذلك فعلت، ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختيارًا منك لا أنه على سبيل الوجوب، فرحن بذلك واستبشرن به، وحملن جميلك في ذلك، واعترفن بمنتك عليهن في قسمك لهن، وتسويتك بينهن، وإنصافك لهن، وعدلك فيهن[1].

التعليق:

أسباب تحسين هذا الرأي:

- الجمع بين الأحاديث.
- دلالة السياق.

المطلب الثامن: الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (قول حسن جيد):

المسألة الأولى:

معنى (ٱلتَّنَادِ) في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢﴾ [غافر: ٣٢] يعني: يوم القيامة.

الأدلة على سبب تسمية يوم القيامة بيوم التناد:

قال ابن كثير -رحمه الله-: وسمي بذلك؛

- قال بعضهم: لما جاء في حديث الصور: إن الأرض إذا زلزلت وانشقت من قطر إلى قطر، وماجت وارتجت، فنظر الناس إلى ذلك ذهبوا هاربين ينادي بعضهم بعضًا. وقال آخرون منهم الضحاك -رحمه الله-: بل ذلك إذا جيء بجهنم، ذهب الناس هرابًا؛ فتتلقاهم الملائكة فتردهم إلى مقام المحشر، **قوله تعالى:** ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَا ١٧﴾ [الحاقة: ١٧]، **وقوله:** ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ [الرحمن: ٣٣].

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٦/ ٤٤٦).

وقد رُوي عن ابن عباس، والحسن، والضحاك: أنهم قرءوا: **(يَوْمَ التَّنَادّ)** بتشديد الدال؛ من ندَّ البعير: إذا شرد وذهب.

- وقيل: لأن الميزان عنده مَلَك، وإذا وزن عمل العبد، فرجح، نادى بأعلى صوته: ألا قد سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا. وإن خفَّ عمله نادى: ألا قد شقي فلان بن فلان.

- وقال قتادة -رحمه الله-: ينادى كل قوم بأعمالهم: ينادى أهل الجنة أهل الجنة، وأهل النار أهل النار.

وقيل: سمي بذلك لمناداة أهل الجنة أهل النار: وقيل: سمي بذلك لمناداة أهل الجنة أهل النار: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف: ٤٤]، ومناداة أهل النار أهل الجنة: ﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾[الأعراف: ٥٠]، ولمناداة أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأعراف: ٤٨].

واختار البغوي وغيره: **أنه سمي بذلك لمجموع ذلك**(١).

حكم ابن كثير -رحمه الله- **على اختيار الإمام البغوي:** قال -رحمه الله-: **وهو قول حسن جيد**(٢).

التعليق:

والمتأمل في الأقوال المنقولة عن السلف في الآية أنها محمولة على التمثيل لا على التخصيص، **والحمل على العموم في مثل هذه المسألة هو الأولى،** "ومتى أمكن حمل الآية على معنى كلي عام شامل يجمع تفسيرات جزئية جاءت في تفسيرها -من قبيل التفسير

(١) البغوي، **معالم التنزيل** (٧/ ١٤٧، ١٤٨).

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٧/ ١٤٣).

بالمثال، أو بالجزء، أو بالثمرة، أو بنحو ذلك- ولا معارض له، وتشهد الأدلة لصحته، فهو أولى بتفسير الآية حملًا لها على عموم ألفاظها، ولا داعي لتخصيصها بواحد من المعاني الجزئية التي جاءت في التفاسير، إلا أن يكون السياق يقتضي تخصيصها حتمًا، أو يقوم الدليل على ذلك، وليس في المسألة شيء من ذلك، وهذا مضمون القاعدة الترجيحية المعتبرة: "**يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص**"(١).

المسألة الثانية:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾ [الزخرف: ٦٣].

قال تعالى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾. قال ابن جرير -رحمه الله-: يعني من الأمور الدينية لا الدنيوية(٢). وهذا الذي قاله حسن جيد(٣).

المطلب العاشر: الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (حسن جدًّا):

المسألة الأولى:

وقت البشرى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

قال مجاهد، والسدي، وزيد بن أسلم، وابنه: يعني عند الموت قائلين: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾ قال مجاهد، وعكرمة، وزيد بن أسلم: أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ أي: على ما خلفتموه من أمر الدنيا، من ولدٍ وأهلٍ، ومالٍ أو دينٍ، فإنا نخلفكم فيه، ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير.

(١) الحربي، **قواعد الترجيح عند المفسرين** (٢/ ٥٢).

(٢) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (٢٥/ ٥٥).

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٧/ ٢٣٦).

وهذا كما في حديث البراء -رضي الله عنه-: «**أن الملائكة تقول لروح المؤمن: اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه، اخرجي إلى روح وريحان، ورب غير غضبان**».

وقيل: إن الملائكة تتنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم. حكاه ابن جرير عن ابن عباس والسدي.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عبد السلام بن مطهر، حدثنا جعفر بن سليمان: سمعت ثابتًا قرأ سورة "حم السجدة" حتى بلغ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴿٣٠﴾﴾؛ فوقف فقال: بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعثه الله من قبره، يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا، فيقولان له: لا تخف ولا تحزن، {وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون} قال: فيؤمِّن الله خوفه، ويقرّ عينه، فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين، لما هداه الله، ولما كان يعمل له في الدنيا.

وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين يُبعث. رواه ابن أبي حاتم.

وهذا القول **يجمع الأقوال كلها، وهو حسن جدًّا**، وهو الواقع[1].

التعليق:

والمتأمل في الأقوال المنقولة عن السلف في الآية أنها محمولة على التمثيل لا على التخصيص، **والحمل على العموم في مثل هذه المسألة هو الأولى، "ومتى أمكن حمل الآية على معنى كلي عام شامل يجمع تفسيرات جزئية جاءت في تفسيرها –من قبيل التفسير بالمثال، أو بالجزء، أو بالثمرة، أو بنحو ذلك– ولا معارض له، وتشهد الأدلة لصحته، فهو أولى بتفسير الآية حملًا لها على عموم ألفاظها**، ولا داعي لتخصيصها بواحد من المعاني الجزئية التي جاءت في التفاسير إلا أن يكون السياق يقتضي تخصيصها حتمًا، أو يقوم

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٧/ ١٧٧).

الدليل على ذلك، وليس في المسألة شيء من ذلك، وهذا مضمون القاعدة الترجيحية المعتبرة: "**يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص**"(١).

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: "وجمع عبارات السلف في مثل هذا نافع جدًّا؛ فإن مجموع عباراتهم أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين"(٢).

المطلب الحادي عشر: الأقوال التفسيرية التي قال عنها ابن كثير: إنها (قول حسن جيد قوي):

قال تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨﴾ [الفجر: ٨] قال مجاهد: إرم: أمة قديمة؛ يعني: عادًا الأولى، كما قال قتادة بن دعامة، والسدي: إن إرم بيت مملكة عاد. **وهذا قول حسن جيد قوي**(٣).

التعليق: تحسين ابن كثير؛ لأن القول قاله جمع من أئمة التفسير.

وبهذا أكون قد انتهيت من البحث.

(١) الحربي، **قواعد الترجيح عند المفسرين** (٢/ ٥٢).

(٢) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى** (١٣/ ٣٤٣).

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (٨/ ٣٩٥).

الخاتمة

وفيها النتائج وأهم التوصيات:

الحمد لله الذي وفَّقنا لإتمام هذا البحث، ونسأله القبول.

أهم النتائج:

١- أثَّرت الصنعة الحديثية عند ابن كثير في حكمه على الأقوال التفسيرية التي حسَّنها.

٢- اعتمد ابن كثير في تحسينه للأقوال على مجموعة من القواعد والأساليب منها:

- تفسير بعض القرآن ببعض، فإذا دلَّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حمله عليه، وحسَّن القول بذلك على غيره من الأقوال.
- إذا ورد عنه ﷺ تفسير شيء من القرآن حسَّن القول به، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح.
- أن يكون القول المحَسَّن قول الجمهور وأكثر المفسِّرين.
- أن يكون القول قول من يُقْتَدَى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن عباس.
- أن يدل على حسن القول كلام العرب من اللغة، وأساليبها مثل أسلوب التضمين.
- أن يشهد بصحة القول سياق الكلام.
- قاعدة الجزاء من جنس العمل.
- أن يدل على حسن القول معهود القرآن مثل أدب الأنبياء والأولياء مع الله من نسبة الخير إليه.
- القول الذي يجمع عبارات السلف؛ فإن مجموع عباراتهم أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين.

- إن الضمير إذا كان صالحًا لأن يعود على الأقرب وعلى الأبعد، كان عَوده على الأقرب راجحًا، وأنه إذا كان أحدهما هو المحدث عنه والآخر فضلة، كان عَوده على المحدث عنه أرجح، ولا يُلتفت إلى القرب.
- يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص.
- القول الذي يجمع بين الأحاديث.

وكانت أهم التوصيات:

- القيام برسائل علمية تجمع ما حسَّنه العلماء من أقوال تفسيرية؛ ليسترشد بها المفسرون.
- استقراء القواعد التي اعتمد عليها العلماء في تحسين الأقوال التفسيرية، وعمل معجم بها.
- القيام بدراسة شاملة للأقوال التي حسَّنها ابن كثير، والتي ضعَّفَها من خلال تفسيره.

المراجع

م المرجع

١- **الإشارة إلى الإيجاز**، المؤلف: عز الدين بن عبد السلام، الشيخ رمزي سعد الدين، دار البشائر الإسلامية، دمشق، الطبعة (١)، ١٩٨٧م.

٢- **البحر المحيط في التفسير**، المؤلف: أبو حيان مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي مُحَمَّد جميل، الناشر: دار الفكر- بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٣- **بدائع الفوائد**، المؤلف: مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٤- **التسهيل لعلوم التنزيل**، المؤلف: أبو القاسم، مُحَمَّد بن أحمد ابن مُحَمَّد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٥- **تفسير القرآن العظيم**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٦- **التفسير والمفسرون**، المؤلف: الدكتور مُحَمَّد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

٧- **جامع البيان في تأويل القرآن**، المؤلف: مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد مُحَمَّد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٨- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، صحيح البخاري**، المؤلف: مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة.

٩- **زهرة التفاسير**، المؤلف: مُحَمَّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.

١٠- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، المؤلف: أبو عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين، ابن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

١١- **سنن الترمذي**، المؤلف: مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد مُحَمَّد شاكر (جـ ١، ٢)، ومُحَمَّد فؤاد عبد الباقي (ج٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

١٢- **طبقات المفسرين للداودي**، المؤلف: مُحَمَّد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.

١٢- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي.

١٣- **قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية تطبيقية**، حسين الحربي، دار القاسم، ط١، ١٩٩٦م.

١٤- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

١٥- **لباب التأويل في معاني التنزيل**، المؤلف: علاء الدين علي ابن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: مُحَمَّد علي

شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٦- **مجموع الفتاوى**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

١٧- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، المؤلف: مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: مُحَمَّد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٨- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المؤلف: أبو عبد الله أحمد ابن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد مُحَمَّد شاكر، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

١٩- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٢٠- **معالم التنزيل في تفسير القرآن= تفسير البغوي**، المؤلف: محيي السنة، أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود بن مُحَمَّد ابن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢١- **معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»**، المؤلف: عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

٢٢- **معجم مقاييس اللغة**، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٢٣- **معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح**، المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ)، المحقق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر- بيروت، سنة النشر: ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.